حرب الجمل

وقعت حرب الجمل في جمادي الاول عام ( 36ه) ولم تدم اكثر من يوم واحد ووقعت المعركة في البصرة التي بنيت في عهد الخليفة الثاني وكانت مركزاً عسكرياً تنطلق منه الجيوش الاسلامية.

ووقعت المعركة في الزابوقة التي هي في ضواحي البصرة أو في الزاوية التي كانت واحدة من أحياء البصرة أوفي الخريبة .

أما الذين شاركوا في معركة الجمل فهم خمسون ألفاً ، شكل جيش الامام علي()عشرين ألفاً وجيش الناكثين ثلاثين الفاً وكان في جيش الامام علي () عدداً من وجوه الصحابة المعروفين بطهرهم وجلالتهم والتزامهم .

ولما خرج الامام علي () لقتال أهل البصرة خطب في أصحابه وذم الخارجين عليه تم قال : (( مالي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ، ولا قاتلهم مفتونين واني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم ، والله ما تنقم منا قريش الا أن الله اختارنا عليهم ، فأدخلناهم في حيزنا )) .

ورغم معرفة الامام علي () بإصرارهم على متابعة حركتهم حتى النهاية لم يكف عن دعوتهم إلى العودة للحق والتراجع عن الباطل ، ولأنه يريد للناس أن يعرفوا انهم هم الذين فرضوا عليه هذا الموقف ، وهو الذي أعطاهم الفرصة للتراجع مع اَخر لحظات بدء القتال ، إلا أنهم أصروا على الكفر بالنعمة وإصرارهم على تضييعها فلم يبق لهم أي عذر واستحقوا النقمة والنكال من الله سبحانه .

وعندما سار أمير المؤمنين () من ذي قار بعث رسله إلى أهل البصرة يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة فقد بعث صعصعة بن صوحان بكتاب إلى طلحة والزبير وعائشة ثم عاد صعصعة إلى أمير المؤمنين علي ()فلقيه قبل أن يدخل البصرة فسأله أمير المؤمنين فقال صعصعة : ((رأيت قوماً ما يريدون الا قتالك فقال : الله المستعان )) .

ثم بعث أمير المؤمنين علي ()عبد الله بن عباس إلى الناكثين يدعوهم إلى الإصلاح و عدم سفك الدماء والرجوع عن الحرب الا أنهم أبوّا ذلك وبقوا على إصرارهم في قتال أمير المؤمنين () ثم ذهب عمار بن ياسر وكلم عائشة الا أنها رفضت ذلك . حتى إن أمير المؤمنين علي () أنظرهم ثلاثة أيام ليكفوا إلا أنهم أصروا على الخلاف .

مخاطبة الامام علي () الزبير وطلحة :

عندما كلم أمير المؤمنين علي () الزبير وذكرة بما قال له النبي () أنه سوف يحارب الامام علي () وهو ظالم له هرب الزبير فأراد المدينة حتى أتى وادي السباع فسمع ذلك ابن جرموز فخرج في طلبه وتبعه ابن جرموز فبينما هو يسر ويستأخر والزبير يفارقه فحمل عليه وطعنه بين كتفيه فأخرج السنان من بين ثدييه ونزل فاحتز راسه وجاء به إلى الاحنف بن قيس فأنفذه إلى أمير المؤمنين () .

أما طلحة فقد قال له الامام علي (): (( يا أبا محمد ما الذي أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان قال علي (): قتل الله أولانا بدم عثمان ، أما سمعت رسول الله يقول : اللهم وال من والاه وعادي من عاداه ؟ وانت أول من بايعني ثم نكث)) وعندما رجع طلحة رماه مروان بن الحكم بسهم مسموم وكان الدم يتدفق بسرعة من الجرح ، حتى توفي وهو بهذا الحال ، وأخذت الحرب تأخذ وتعطي فتارة لأهل البصرة وتارة لأهل الكوفة .

عقر الجمل :

ويظهر الامام علي ()الفن الحربي عندما أمر أصحابه بعقر الجمل حيث أراد القضاء على هذه الفتنه التي كانت بقيادة عائشة وهي تأمر جيش الناكثين من خلاله، وأخذ جيش الناكثين يلوذون بالجمل لذلك وجه الامام أصحابه بالتوجه نحو الجمل وصاح اقطعوا البطان فأسرع محمد بن أبي بكر فقطعه وأطلع الهودج وجاء علي ()فقرع الهودج برمحه وقال : يا شقيراء بهذا وصاك رسول الله () قالت يا ابن ابي طالب قد ملكت فأسجع . ونادى أمير المؤمنين() محمد بن أبي بكر وقال له تول أمرها واحملها إلى دار عبد الله بن خلف حتى ننظر في أمرها فحملها إلى الموضع وأن لسانها لايفتر من السب لي ولعلي () والترحم على أصحاب الجمل .

عدد من قتل في معركة الجمل :

استشهد من جيش الامام علي () خمسة الاَف أما جيش الناكثين فقد اختلف المؤرخون في عدد قتلاهم فمنهم من قال قتل منهم عشرون الفاً وفي رواية أخرى قتل منهم ثلاثة عشر الفاً وخبر اَخر عشرة الاَف وفي رواية أخرى خمسة الاَف.

سياسة معاملة الأسرى :

وبعد الهزيمة المريرة التي مني بها جيش الجمل ، تعامل الإمام علي () مع أسرى هذه المعركة وبالأخص مع السيدة عائشة التي أحاطها بالإجلال والتقدير وبما يليق بمكانتها كزوجة لرسول الله () تاركاً مواقفها في التحريض والتأجيج لهذه المعركة وما خلفته من اَثار سلبية وخيمة بالأمة الإسلامية ، فاَثر الإمام علي () إلا أن يقصدها ويزورها في البيت التي تقيم فيه فوجدت الإمام علياً الرجل الذي حاربته بالبغضاء فحاربها بالحلم والمروءة ، وصفاء قلبه من الحقد والضغينة ، وهيأ لها الأمام علي () موكبا مهيبا لعودتها إلى بيتها في المدينة بعدما سألها (): (( أترحلين ، قالت : ارتحل ، فبعث معها علي () أربعين امرأة وأمرهن أن يلبسن العمائم ، ويتقلدن السيوف ، وان يكن من الذين يلينها ، ولا تطلع على انهن نساء ، فجعلت عائشة تقول في الطريق : فعل الله في ابن أبي طالب وفعل ، بعث معي الرجال ، فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها ، فقالت : جزى الله بن أبي طالب الجنة )).

ومن معاملة الإمام علي () الإنسانية ما كان من ابتدار النسوة اللواتي كن في الدار التي فيها السيدة عائشة حيث استقبلنه عند دخوله و(( صحن في وجهه وقلن : يا قاتل والأحبة ، فقال : لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت)) ، وكان في الدار بعض قادة الجمل .

معركة صفين :

الامام علي () يكتب إلى عماله بالمسير إليه :

بعد أن عزم معاوية على حرب الامام علي () أرسل الامام إلى عماله يأمرهم بالمسير إليه وأخبرهم أنه يريد المسير إلى الشام لمحاربة أهلها ، فأقبل إليه عماله من جميع البلاد التي كانت بيده وأخبر عماله بالوجهة التي هو موليها ولم يكتم عليهم أمره وطلب منهم أن يستخلفوا من يثقون به مع مجيئهم وأنهم موضع ثقة الامام لاستخلافه إياهم .

ثم دعا الامام علي () أصحابه من المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر وصغي إليهم وهو الامام الذي يركن العلماء إلى رأيه وقال : (( فأشيروا علىّ فإنكم ميامين الرأي راجحي العقل مقاويل بالحق ، مباركي الفعل والأمر)) .

وقد أخذ أصحاب الامام علي () يعرضون أنفسهم من خلال الخطب التي ألقاها كل واحد منهم وهم مالك الاشتر وزيد بن حصين وعمار ابن ياسر وقيس ابن سعد وعبدالله بن بريد وغيرهم وأدلى الجميع بكامل الحرية وكان الامام علي () يطيل السمع إليهم وانهم اظهروا ولاءهم وحبهم الشديد للامام علي ().

عندها اجتمع رأي الامام علي () واصحاب علي المسير إلى الشام أراد الامام علي () أن يمنح معاوية فرصة أخرى إضافة إلى الفرص الكثيرة التي ضيعها في الاستجابة إلى الامام علي () فأراد الامام علي () أن يبعث شخصاً ذا خبرة وحكمة وتجربة ، فشاور علي() اصحابه فوثب جرير بن عبد الله البجلي فقال : يا أمير المؤمنين ابعثني إليه رسولاً فإنه لم يزل منتصحاً وواداً ، فاتيه وأدعوه إلى أن يسلم لك هذا الامر ، ويلزم الطاعة.

وتجمع أصحاب الامام علي () وطلبوا منه المسير الى معاوية فقالوا : ))فسر بنا إليهم وفقك الله لما تحب وترضى ، قال : فأطرق علي () ساعة ثم قال : إنه ليس يتهيأ لي المسير اليهم ورسولي عندهم ، وقد وقت لرسولي وقتاً لا يتأخر عنه إلا مخدوعاً أو عاصياً ، فاسكتوا ولا تعجلوا قال : فسكت الناس )) .

مبدأ الاستناد إلى الكتاب والسنة :

كان أمير المؤمنين علي () جاداً في الدعوة للكتاب والسنة من أجل دخول معاوية واتباعه إلى ظل الطاعة والابتعاد عن دائرة الغضب الالهي ورغبة أمير المؤمنين () في هداية القوم فقد كتب إلى معاوية (( ألا وأني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه () وحقن دماء هذه الأمة . فإن قبلتم أصبتم رشدكم ، واهتديتم لحظكم وإن ابيتم إلا الفرقة وشق عصا هذه الأمة فلن تزدادوا من الله إلا بعداً ، ولن يزداد الربُّ عليكم إلا سخطاً والسلام )).

وقد صدق الامام علي () في دعوته إلى الكتاب والسنة وذلك قبل دخول الحرب ، اما زيف معاوية في الاحتكام إلى الكتاب فإنه دعا إلى ذلك بعد مضي أكثر من مائة يوم على القتال فلو كان صادقاً لانصاع إلى ذلك قبل خوض المعركة ونلاحظ مراعاة الامام علي () تعاليم القراَن وسنة النبي () في طريقة الاجهاز على الخصم حين يأمر أصحابه بأن لايذفوا على الفارين، أما معاوية وجنده فكانوا لا يهمهم أي شيء في القتال ولا يرعوا الكتاب والسنة ولذا عندما جاء الاصبغ بن نباتة وصعصعة بن صوحان يسألون ((يا أمير المؤمنين كيف يكون لنا الفتح وإذا هزمناهم لم نقتلهم وإذا هزمونا قتلونا فقال أمير المؤمنين (): إنّ معاوية لا يعمل بكتاب الله ولا سنة رسوله ولست أنا كمعاوية ولو كان عنده علم وعمل لما حاربني والله بيني وبينه )) .

مسير الامام علي () :

عندما قطع الامام علي ()الفرات دعا زياد بن النضر وشريح ابن هاني فسرحهما أمامه نحو معاوية وأخذ علي شاطي الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى يلقى عانات ووصل اليهما ، أنّ الامام علي ()أخذ على طريق الجزيرة ، وأن معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال علي() فذهب زياد وشريح ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات وحبسوا عنهم السفن فرجعوا حتى عبروا من هيت ثم لحقوا بالأمام في قرية دون قرقيسيا وقد أرادوا أهل عانات فتحصنوا وفروا ، وعندما وصلوا إلى الامام تقدم زياد بن النضر وشريح بن هاني واخبروا الامام بما جرى فقال لهم سددتما ثم عبر الامام الفرات وقدمهما أمامه نحو معاوية حتى وصلوا إلى سور الروم لقيهما ابا الاعور السلمي في جند من الشام فارسلا إلى الامام علي ()واخبروه بما لقيا فارسل اليهم الامام مالك الاشتر وجعله عليهم الأمير واوصاه بأن لايبدأهم القتال حتى يدعوهم وامرة أن يجعل زياداً على الميمنة وشريحاً على المسيرة وأن يقف من أصحابه وسطاً و، لايدنوا منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا يتباعد منهم بُعد من يهاب البأس ، وان ينتظر قدوم الامام عليه . فخرج الأشتر حتى وصل إلى جيش الامام ()واتبع ما أّمر به وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الاعور فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم انصرف أهل الشام .

معاوية يمنع الناس من الماء :

عندما وصل معاوية إلى صفين عسكر هو وجيشه وأمر أبا الأعور أن يقف على الشريعة وأن يمنع أهل العراق من الماء ، وعندما وصل أمير المؤمنين علي()وجد أهل الشام قد احتووا على القرية والطريق فأمر الناس فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية ، وبعث السقاءون والغلمان إلى طريق الماء فحال أبو الأعور بينهم وبينه ومنعهم من الماء فأخبروا الامام علي ()بذلك ، لذلك بقي أصحاب الامام علي () ان يخرج لهم ويقاتلهم حتى يسيطر على الماء وخرج معه الاشتر فقاتلوا قتالاً شديداً حتى نفيا أبو الاعور وأصحابه عن الشريعة وصارت في ايديهم .

ولما صار الماء في ايدي أصحاب علي ()لم يقبلوا أن يسقوا أهل الشام وعندما وصل الخبر إلى الامام علي ()أرسل إلى أصحابه وقال : ((خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى عسكركم ، وخلوا بينهم وبين الماء ، فإن الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم )) .

ثم مكث أمير المؤمنين علي () يومين لا يرسل إلى معاوية ولا يرسل إليه معاوية ، ثم دعا الامام علي () بعض الرجال وأوفدهم إلى معاوية وأن يدعوه إلى طاعة الله عز وجل والجماعة واتباع أمر الله تعالى حتى يلقي الامام (() الحجة ، إلا أن معاوية وبخهم وقال لهم بيني وبينكم السيف .

عدد الجيشين :

اختلف المؤرخين في أعداد الجيشين فمنهم المكثر ومنهم المقلل ، ألا أن المشهور هو أن عدد جيش الامام كان تسعين الفاً . أما جيش معاوية فقد بلغ عددهم خمسة وثمانين ألفاً هي الاشهر .

ترتيب الجيش :

إنّ كثرة المتطوعين الذي وصل عددهم إلى تسعين الفاً تحتاج إلى تنظيم وترتيب صفوفهم ،ولذا وضع أمير المؤمنين علي ()الأمراء على الجنود ويوصي الامام علي ()أمرائه ومن معهم من الجنود أن لا يكون هناكتعدي على الناس ، وأن لا يعملوا عملاً يغضب الله سبحانه وتعالى ويكون مردوده سلباً على الجميع وأن يكونوا حذرين . وكذلك وجه الامام علي () قوات من أجل إعلام الناس وأن لا يرعبوا من هيبة الجيش الذي سيمر من مدنهم واقراهم

وفي ذي الحجة أخذ أمير المؤمنين () يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة ويخرج اليه أصحاب معاوية فيقتتلان في خيلهما ورجالهما ثم ينصرفان ، فكان الامام علي () يخرج مرة مالك الاشتر ومرة حجر بن عدي ومرة زياد بن النضر وغيرهم من قادة جيش الامام علي () وكان أكثر القوم خروجاً اليهم مالك الاشتر وكذلك معاوية فاقتتلوا من ذي الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين في أوله واَخره ، ولما انقضى ذي الحجة تداعى الناس الى أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقض المحرم ، لعل الله أن يُجري صلحاً أو اجتماعاً فكف بعضهم عن بعض .

وبعد انتهاء معركة صفين بعث الامام علي () إلى معاوية يدعوه إلى طاعة الله ويحقن به الدماء ويؤمن به السيل ويصلح به ذات البين وعندما وصلوا إلى معاوية ذكروا الامام علي () وسابقته في الاسلام وأثره وأنّ الناس قد اجتمعوا عليه وانه لم يبق الا هو ومن معه ، الا أن معاوية لم ينتهِ وبقي مصراً على حرب الامام علي () ثم بعث معاوية إلى زياد بن خصفة فخلا به وطلب منه النصر وأن يعطيه معاوية أي المصرين يحب الا أن زياد قال لمعاوية إني على بينة من ربي ولن اكون ظهيراً للمجرمين ثم قام فقال معاوية لعمرو بن العاص ما قلوبهم الا كقلب رجل واحد .

أمر الامام علي () بالقتال :

عندما أنقضى شهر المحرم بعث الامام علي () منادياً ينادى في معسكر معاوية عند غروب الشمس : (( إنا أمسكنا لتنصرم الاشهر الحرم ، وقد انصرمت وإنا ننبذ اليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين )).

وعندما أصبح الامام علي () الاربعاء وكان أول يوم من صفر فعبأ أصحابه وكانوا أحد عشر صفاً وكان الاشتر أمام الناس فخرج اليه من جيش معاوية حبيب بن مسلمة وكان بينهم قتال شديد وأسفر عن قتلى من الطرفين وهكذا أدامت سبعة ايام يخرج من كلا الفريقين قائد ومعه جيش يقتتلون ثم ينصرفون .

ولما طالت الحرب سبعة أيام جمع الامام علي () الناس وأمرهم أن ينهضوا لهؤلاء القوم باجمعهم وكان ذلك ليلة الاربعاء ، ثم حمد الله سبحانه وتعالى وطلب من أصحابه أن يكثروا من الصلاة وقراءة القراَن وأن يطلبوا من الله النصر والصبر ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها . وأخذ الفريقان يعبئان للحرب ثم حمل الفريقان بعضهم على بعض ، وقاتلهم الامام قتالاً شديداً حتى انكشف أهل الشام .

أمير المؤمنين علي () في وسط المعركة:

أما شجاعة الامام علي () في صفين فقد ذكر أحدهم فقال : ((لا والله الذي بعث محمد () بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب إنه قتل فيما يذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب ، فيخرج بسيفه منحنياً فيقول : معذرة إلى الله عز وجل وإليكم من هذا ، لقد هممت أن أصقله ولكن حجزني عنه أني سمعت رسول الله () يقول كثيراً :لاسيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي ، وانا أقاتل به دونه ، قال : فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف ، فلا والله ما لبث بأشد نكاية في عدوه منه ، رحمة الله عليه رحمة واسعة )) .

أما الحريث مولى معاوية وأنيسه يلبس بزة معاوية ويأخذ سلاحه ويركب فرسه ، ويحمل متشبهاً بمعاوية وكان معاوية نهاه عن قتال الامام علي () الا ان عمروا ابن العاص اقنعه بقتال الامام () ، وخرج الحريث وقام بين الصفين وقال يا أبا الحسن ابرز لي أنا حريث فخرج الامام علي () فضربه فقتله .

وخرج رجل من أصحاب معاوية يقال له المخارق بن عبد الرحمن وكان فارساً بطلاً حتى وقف بين الجمعين ، ثم سأل النزال فخرج اليه رجل من جيش الامام علي () فقتله الشامي واحتز راسه وحك وجهه في الارض وكب الرأس على وجهه ، ثم كشف عورته ونادى هل من مبارز؟ فخرج اليه رجل أخر فقتله الشامي ثم فعل به كما فعل بالأول ، ثم نادى هل من مبارز فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة واحتز رؤوسهم وكشف عوراتهم فخاف الناس منه ، ونظر إليه الامام علي () وقد فعل الشامي ما فعل ، فخرج اليه متنكراً وحمل عليه الشامي وهو لم يعرفه فبدره الامام علي () بضربة على حبل عاتقه فرمى بشقه ثم نزل اليه واحتز راسه وقلب وجهه إلى السماء ولم يكشف عورته ، ثم نادى : هل من مبارز فخرج إليه اَخر فقتله الامام علي ()وفعل به كما فعل بالأول ، حتى قتل منهم سبعة أو ثمانية وهو يفعل بهم كما فعل بالأول ولا يكشف عوراتهم ، فاحجم الناس عنه وتحامته الأبطال من أصحاب معاوية .

السكينة عند الامام علي () أثناء القتال :

كان أمير المؤمنين علي ()على يقين من أن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ له ، وأن الله تعالى موكل ملكين لحفظ الانسان ، اما إذا جاء القدر فيخلون بينه وبين كل شيء .

ففي صفين خرج الامام علي () وفي يده رمح صغير فمر على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد (( أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوك؟ فقال له علي (): انه ليس من أحد إلا عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى في قليب ، أو يخر عليه حائط ، أو تصيبه اَفة ، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه)).

وعن سعيد بن قيس قال : (( نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين () فقلت : يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع فقال : نعم يا سعيد إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر ، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء)) .

يوم الهرير :

أشتد القتال بين جيش الامام علي () وأهل الشام فاقتتلوا كاشد القتال يومهم حتى الليل ، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصلاة وكثر القتلى بين الطرفين ثم تحاجزوا عند الليل وكل غير غالب فأصبحوا من الغد فصلى بهم الامام علي () يوم الخميس ثم دعا الامام علي () بدرع رسول الله () فلبسه وبسيف رسول () فتقلده وبعمامة رسول الله ثم دعا بفرس رسول الله () فاستوى عليه وجعل يقول : (( أيها الناس من يبع نفسه بربح هذا اليوم ، فانه يوم له ما بعده من الايام ، اما والله ! ان لو لا ان تعطل الحدود وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون وتفوز كلمة الشيطان ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه ، ألا إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير في عواقب الامور الا انها أحن بدرية وضغائن أحدية وأحقاد جاهلية )) ( فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ) .

ثم حمل الامام علي () بنفسه على جيش اهل الشام فخرج مخضباً بالدماء من شدة القتال ، فلم يزل كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه ، وجرح الامام علي () خمس جراحات ثلاث في رأسه واثنان في وجهه .

اما عدد الذين قتلهم امير المؤمنين علي () في ليلة الهرير فكان جمله من قتل علي () بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً اكثرهم في اليوم ، وذلك انه كان اذا قتل رجلاً كبر اذا ضرب ، ولم يكن يضرب الا قتل .

وقد اعترف اعداء الامام علي () بشجاعته لما لم يتمكنوا من استتارها فعن عمرو ابن العاص يذكر يوم الهرير فقال : (( لله در بن ابي طالب ! ما كان اكثره عند الحروب ما آنست أن أسمع صوته في اول الناس الا وسمعته في اخرهم ، ولا في الميمنة الا وسمعته في الميسرة )) .

**رفع المصاحف والتلاعب بالدين :**

عندما رأى عمرو بن العاص أن اهل العراق قد اشتدوا عليهم خاف من الهلاك فطلب من معاوية ان يرفع المصاحف على الرماح حتى تدب الفرقة في جيش الامام علي () ثم رفعوا المصاحف وقالوا هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، وعندما رأى الناس المصاحف رفعت قالوا نجيب الى كتاب الله .

فقال الامام علي () إنها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن الا أن الاشعت بن قيس اعترض لأن معاوية كان استماله وقال قد دعا القوم الى الحق ! فقال علي () : إنهم إنما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم وقال الاشعت والله لتجيبهم إلى ما دعوا إليه أو لندفعنك اليهم برمتك حتى ضج المعسكر ورفع في عسكر معاوية نحواً من خمسمائة مصحف فاختلف أصحاب الامام علي() في الرأي فطائفة قالت القتال وطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب فقال الامام علي () (( أيها الناس ! إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب ، حتى نهكتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهي لعدوكم أنهك ، لقد كنت أمس أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت أمس ناهياً ، فأصبحت اليوم منهياً ، وقد أحببتم البغاء ، وليس لي ان أحملكم على ما تكرهون )) .

وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله عندها بعث أمير المؤمنين علي () الى الاشتر وأمره الرجوع اليه والكف عن القتال لما رأى من أصحابه فرجع إليه الاشتر .

**التحكيم وصحيفة الموادعة :**

لم تتوقف محنة الامام بتخاذل الجيش ، وكان بالامكان ان يحقق مكسباً سياسياً عن طريق المفاوضات التي دعي اليها لو اطاعة المتمردون في اختيار الممثلين عنه الى التحكيم ، فاراد الامام علي() ترشيح عبدالله ابن عباس او مالك الاشتر ، الا ان المخدوعون اصروا على ابن موسى الاشعري ، اما معاوية فقد اختار عمرو ابن العاص ممثلاً عن اهل الشام . واهم ما جاء في الصحيفة هو اعلان الهدنة ووقف لقتال ، وان يلجا الطرفان الى كتاب الله وسنة نبيه لحل قضاياهم ، واجل البت في قرار الحكمين الى رمضان سنة 37 هـ حيث كتبت الصحيفة في صفر من العام نفسه .

وعندما حان الاجل الذي ضرب لاجتماع الحكمين ارسل الامام علي () اربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني ، وبعث معهم عبدالله بن عباس وابو موسى الاشعري ، وبعث معاوية عمرو بن العاص في اربعمائة رجل اهل الشام حتى توافوا في دومة الجندل . اجتمع الحكمان ولم يطل الاجتماع طويلاً حتى تمكن ابن العاص من معرفة نقاط الضعف في شخصية الاشعري والسيطرة عليه وتوجيهه نحو ما يريد ، واتفق الطرفان على خلع الامام علي() ومعاوية عن ولاية أمر المسلمين واختيار عبدالله بن عمر بن الخطاب الخليفة المقترح .

فقام الاشعري فخطب وخلع الامام علياً () ثم انبرى عمرو فخطب واكد خلع الامام وثبت معاوية لولاية الامر . وهرب ابو موسى الى مكة ورجع ابن عباس وشريح الى الامام علي ().

**عدد القتلى من الجيشين :**

اما عدد القتلى فالمشهور ان القتلى من العراق خمسة وعشرون الفاً ومن اهل الشام خمسة واربعون الفاً ودامت الحرب مائة وعشرة أيام .

**معركة النهروان .**

**بداية فتنه الخوارج :**

عندما خرج جيش الامام علي () الى صفين كانوا أحباء متوادين ، لكن رجعوا متباغضين أعداء حتى فشي فيهم التحكيم ، واقبلوا يتدافعون ويتشاتمون الطريق كله ، ويقول الخوارج يا أعداء الله أدهنتم في امر الله عز وجل وحكمتم ! وقال الاخرون : فارقتم إمامنا وفرقتم جماعتنا ، فلما دخل الامام علي ()الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر الفاً ، ونادى مناديهم ، ان أمير القتال شبث بن ربعي التميمي ـ وأمير الصلاة عبدالله بن الكواء اليشكري والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلما سمع الامام علي() وأصحابه ذلك قامت الشيعة فقالوا له في اعناقنا بيعة ثانية ، نحن اولياء من واليت ، واعداء من عاديت فقالت الخوارج استبقتم انتم وأهل الشام الى الكفر كفرسي رهان ( اي اللذان يستبقان الى غاية فيستويان ) فقد بايع اهل الشام معاوية على ما احبوا وكرهوا وبايعتم انتم علياً () على أنكم اولياء من والى وأعداء من عادى . فقال لهم زياد بن النضر والله ما بسط علي () يده فبايعناه قط الا على كتاب الله وسنة نبيه ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له نحن أولياء من واليت واعداء من عاديت ، ونحن كذلك ، وهو على الحق والهدى ومن خالفه ضال مضل .

**محاولة الامام علي** () **هداية الناس :**

أرسل الامام علي () عبد الله بن عباس الى الخوارج وهم في حروراء ، الا أنهم لم يستجيبوا له ، واتهموا الامام علي () بالكفر وأنه خارج عن حكم الله وطلبوا منه ان يخرج لهم الامام علي () حتى يحتجوا عليه ويسمعوا كلامه فرجع عبدالله بن عباس الى الامام علي () واخبره بذلك .

وعندما علم الامام علي () ان الخوارج يريدون ان يكلموه (( ركب علي () الى القوم في مائة رجل من أصحابه حتى وافاهم بحروراء فلما بلغ ذلك الخوارج ركب عبد الله بن الكواء في مائة رجل من أصحابه حتى واقفه ، فقال له علي (): يا بن الكواء ! ان الكلام كثير ، ابرز الي من اصحابك حتى اكلمك ، قال ابن الكواء : وانا آمن من سيفك ؟ قال علي () نعم انت آمن من سيفي . قال :فخرج ابن الكواء في عشرة من أصحابه ودنوا من علي () قال : وذهب ابن الكواء ليتكلم فصاح به رجل من أصحاب علي () وقال : اسكت حتى يتكلم من هو أحق بالكلام منك ! قال : فسكت ابن الكواء وتكلم علي بن ابي طالب () فذكر الحرب الذي كان بينه وبين معاوية ، وذكر اليوم الذي رفعت فيه المصاحف ، وكيف اتفقوا على الحكمين ، ثم قال له علي (): ويحك يبن الكواء ! ألم أقل لكم بأنهم قد عضهم السلاح وكاعوا عن الحرب فذروني أناجزهم فأبيتم علي وقلتم : أن القوم قد دعونا الى كتاب الله عز وجل فأجبهم الى ذلك ، والا لم نقاتل معك ، والا دفعناك اليهم فلما أجبتكم الى ذلك وأردت ان أبعث ابن عمي عبد الله ابن عباس ليكون لي حكماً فإنه رجل لا يبتغي شيء من عرض هذه الدنيا ولا يطمع أحد من الناس في خديعته ، فأبى علي منكم من أبى وجئتموني بأبي موسى الاشعري وقلتم قد رضينا بهذا ، فأجبتكم اليه وأنا كاره ، ولو أصبت أعواناً غيركم في ذلك الوقت لما أجبتكم ، ثم أني اشترطت على الحكمين بحضرتكم ان يحكما بما أنزل الله من فاتحته الى خاتمته أو السنة الجامعة فإن هما لم يفعلا ذلك فلا طاعة لهما علي ، أكان ذلك أم لم يكن ؟ فقال ابن الكواء ، صدقت ، قد كان هذا بعينه ، فلم لا ترجع الى حرب القوم إذ قد علمت أن الحكمين لم يحكما بالحق وأن أحدهما خدع صاحبه ؟ فقال علي (): انه ليس إلى حرب القوم سبيل الى انقضاء المدة التي ضربت بيني وبينهم قال ابن الكواء : فأنت مجمع على ذلك ؟ قال : وهل يسعني الا ذلك ، انتظر يا ابن الكواء اني أصبت أعواناً وأقعد عن حقي ؟ قال : فعندها بطن ابن الكواء فرسه وصار الى علي () مع العشرة الذين كانوا معه ، ورجعوا عن رأي الخوارج ، وانصرفوا مع علي () الى الكوفة ، وتفرق الباقون وهم يقولون لا حكم الا لله ولا طاعة لمن عصى الله .